

دوائر الإحسان .. المفهوم والتطبيق في حياة المسلم



الاثنين 18 أغسطس 2025 08:00 م

الإحسان هو أرقى درجات العلاقة بين المخلوق والخالق، وهو المفهوم الذي عبر عنه النبي ﷺ بقوله: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وهذه المرتبة العظيمة إذا وصل إليها العبد تجلت في تعاملاته مع نفسه ومع غيره ومع الكون من حوله ﷻ وإذا نظرنا إلى منزلة الإحسان بين الأوامر الشرعية وجدنا قوله ﷻ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" وكتب هذه تستخدم مع الأمور العظيمة { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }، و{ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }

دائرة الإحسان الأولى: الإحسان في التعامل مع الله تعالى
نحن نذكر أن الله تعالى يرانا لكي نشعر أنفسنا وأبنائنا ومن نخاطب أن الله تعالى رقيب علينا ، وعلينا أن نذكرهم بأن الله تعالى يراهم حين تنتابهم مشاعر الخوف والوحدة والقلق حتى تكاد تعصف بهم ، ونذكرهم بأن الله يراك ويرى ما أنت عليه من ضعف وحاجة ، وسيرسل لك النجدة وما يعلم جنود ربك إلا هو ، نذكر أنفسنا ومن حولنا أن رحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شيء ، وقد أحاط جل جلاله بكل شيء علما ، لست وحدك أبدا الجأ إلى الله تعالى لجوء المضطر الذي لا يجد ملجأ إلا الله ﷻ
ونعلم أنفسنا كما نعلم أبناءنا كذلك بأن الله تعالى يراك وأنت تحسن وتفعل الخير وتساعد الناس (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ) [البقرة: 197] يعلمه سبحانه ويجازي به وإن لم يعلم به أحد أو يسجل لك هذا الموقف .

دائرة الإحسان الثانية: الإحسان في استقبال أقدار الله
يتقلب الإنسان بين فرح وحزن ومرض وقوة وضعف واجتماع بأحابيه وفراق يسعد إذا وجد النعمة ويحزن وربما يكتأب إذا جاءه الابتلاء، وكيف يستقبل ما لا يسره من أقدار الله تعالى استقبالا حسنا؟؟!! يفعل ذلك عندما يعلم أنه لله والمالك سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء لا يسأل ربنا عما يفعل ، يعطي ويمنع بالحكمة(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) فإذا نزل بالإحسان ما يكره تذكر هذه الآية وتذكر ما كان من صحابة رسول الله ﷺ من حسن استقبال الأقدار المؤلمة؛ فهذا عروة بن الزبير فقد إحدى رجله وبعد قليل فقد ولده ، بلاء ثقيل شديد انظر إلى ما أفرغه الله عليه من الصبر وكيف استقبل هذا البلاء المؤلم أحسن استقبال حين حمد الله تعالى، وقال مخاطبا ربه سبحانه وتعالى: «لئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت»

دائرة الإحسان الثالثة: الإحسان إلى النفس (الروح والبدن)

أولاً: الإحسان إلى البدن

وله صور كثيرة منها:

تناول الطعام الطيب النافع المفيد الذي يحمل قيمة غذائية عالية وعدم تناول ما يضر من أطمعة لا تناسب حالة الإنسان الصحية فضلا عن ما حرمه الله تعالى ، وقد قدم لنا أهل الكهف نموذجا في اختيار الطعام عندما قال قائلهم:(فَأَبْغَتْوَا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) [الكهف: 19] ، ومن الإحسان إلى البدن عدم الإسراف في تناول الأطعمة المحبوبة فإن في ذلك ضرر محقق للبدن ﷻ

القيام بالعمل حسب الطاقة البشرية دون إجهاد يؤدي إلى المرض أو العجز .

الترويح؛ فإن القلوب تعمل وتحتاج إلى ما يجدد نشاطها لذلك كان قول النبي ﷺ: "ساعة وساعة" ساعة الترويح لا يسمح فيها بارتكاب محرم في الشرع ومن الترويح ممارسة الرياضة ومجالس السمر التي تخلو من الغيبة والنميمة ﷻ

التزين بما يلائم الرجال والنساء، قال رسول الله ﷺ: "من كان له شعْرٌ، فليكرمه" ، وعن مجاهد قال رأى رسول الله ﷺ رجلا ثائرا الرأس فقالَ إِمَّا أَنْ تُحْسِنَ إِلَى شَعْرِكَ وَإِمَّا أَنْ تُحْلِقَهُ ، وكما أمر الشرع بالإحسان إلى الشعر أمر كذلك بالإحسان إلى الأسنان وغيرها من أعضاء البدن ﷻ ومما يؤسف له أن يحظى البدن بالإحسان وتهمل الروح تماما ﷻ

ثانياً: الإحسان إلى الروح

والإحسان للروح بأمر كثيرة منها:

المعرفة: فكلما اتسع العلم كلما أدرك الإنسان سعة رحمة الله تعالى وقرب فرجه ، وعرف كيف يتعامل مع الدنيا ومواردها وما يحدث فيها من بلاء ﷻ

الذكر: والذكر سبب لطمأنينة القلب وسعادته، وتوفير وجبات روحية منتظمة من الأذكار التي حث عليها النبي ﷺ مما يقوي الروح ويصلها بالله تعالى ﷻ

الفكر: حيث تتجول الروح في جميل صنع الله وتتأمل فيه وفي أحوال البشر في الماضي والحاضر ، وكيف ننتفع بهما في الإعداد للمستقبل

التزكية: بترقية النفس الإنسانية والعقل والخلق، وهي أحد المهام التي كلف الله تعالى بها نبيه ﷺ، فمن استوى يومه فهو مغبون ﷻ اختيار الطيب من القول الذي يكسب النفس معرفة أو ثقة أو حقيقة، فالعالم مليء بالأكاذيب التي تضل الناس عن الخير، وقد وصف الله تعالى أولي الألباب بقوله (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر: 18) دائرة الإحسان الرابعة: الإحسان إلى الخلق الإحسان إلى الناس عامة

من الناس من يحسن في حال السعة فقط وإذا تعسرت أحواله توقف عن الإحسان ، ومنهم من يحسن حتى في حالات الضيق والشدة إيماننا بقوله تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ: 39] و استجابا لأرزاق الله وبركاته وهذه الخصلة الحميدة أحد معالم الإيمان ،قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْفَاقُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ ” ومنهم من يشارك إخوانه ما يملك لقمة أو كسوة أو سكا أو وقتا ، ومنهم من يقدم حاجة إخوانه على حاجته وهؤلاء هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله (وَيُؤْتُواوَنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: 9]

هناك إحسان يقدم ابتداء كسب لفتح أبواب القلوب وانتظارا لوقت يحتاج فيه المحسن لمن أحسن إليه ، وهذه المعاملة تتم كنوع من المبادلة ، وعندما لا يجد من أحسن المكافأة يحزن ويسخط ويرى أن المعروف قد انتهى من الدنيا ولم يبق إلا أن تقوم القيامة ، وهناك إحسان يقدم لأن الله تعالى يحب المحسنين وهذا الصنف من البشر يقدم الاحسان وشعاره:” لا نريد منكم جزاء ولا شكورا” : لأن جزاءكم وشكوركم قاصر ووقتي بينما جزاء الله تعالى وشكره لعبده جزاء كبير وموصول في الدنيا والآخرة ويبقى للأجيال التالية ﷻ ولأن النفوس تتقلب والنوايا تتغير لابد من رعاية الإحسان في البدا والختام ؛ فبعض الناس يسير في طريق الإحسان خطوة أو خطوات لكنه بعد قليل أو كثير يضيق صدره وينفذ صبره وينتقل من الإحسان إلى عكسه والإحسان يحتاج إلى صبر ومصابرة وحتى في أحلك اللحظات التي تشحن النفوس فيها بالغضب أو الحزن يأمرنا الله تعالى بالإحسان فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان، مع ما في حالة الطلاق من أجواء نفسية مؤلمة إلا أن الإحسان هو السبيل الأسلم لإتمام عملية الانفصال بأقل الخسائر المادية والمعنوية من الطرفين ﷻ وقد يضيق المسلم بعدم مقابلة إحسانه بالشكر أو حتى بالسكوت وأحيانا يقابل إحسانه بأشد أنواع الإساءة ، يتعجب كيف ينحدر البشر لهذا المستوى ، ونظرة واحدة على استقبال العصاة لإحسان الله تعالى الذي لا ينقطع عنهم ليلا او نهارا كيف يكفرون بربهم ويجحدون فضله ويستخدمون نعمه في مبارزته سبحانه وتعالى بالمعاصي ومع ذلك يقابل جودهم بالإمهال وإعطاء الفرصة تلو الفرصة ﷻ هذه النظرة لاستقبال الجاحدين لفضل ربهم تسكن الألم والغضب فما يبلغ إحسانك لغيرك مقارنة بإحسان الله تعالى للخلق؟؟

الإحسان إلى الوالدين

وهذا الاحسان يتجاوز مجرد العطاء والخدمة وتلبية حاجاتهم إلى أن يكون ذلك وأكثر منه، مغلفا بالعاطفة الصادقة وتعبيرات الوجه والصوت الدالة على عدم الملل من كثرة طلباتهما أو شكواهما من مرض أو وحدة ، قد يطلب أحدهما شيئا فتسرع في تلبيةه أو تحضره حتى قبل أن يطلباه ، لكن البعض يعطيهم ما يطلبان ويشعرهما بنبرة صوته أو تعبيرات وجهه بالإرهاق الذي أصابه لتلبية هذا الطلب ؛ سواء كان إرهاقا ماديا أو بدنيا مما يدفعهما إلى عدم طلب شيء مجددا ، أما المحسنون من خلق الله فيعبرون عن سعادتهم بطلب الوالدين وشعورهم بالامتنان أن اختاراه من بين الأبناء بهذا الطلب ﷻ

وقد قدم ابن عمر رضي الله عنهما نموذجا للإحسان المستمر للوالدين حتى بعد الوفاة ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ « أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَقَلَهُ عَلَى جِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ ﷻ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَالِدِ أَهْلٌ وَدًّا أَبِيهِ . » فإذا كان هذا هو إحسان ابن عمر لابن صديق والده فكيف يكون بره بصديق والده ، وإذا كان الأعراب يرضون باليسير وهذا منهم فالولد البار لا يرضى إلا بما يناسب حبه وبره لوالده حسب وسعه وطاقته ﷻ

الإحسان إلى الأولاد والزوجة

الإحسان للأولاد: وأساسه توفير بيئة صالحة لتنشأتهم ؛ بدأ من اختيار الزوجة الصالحة ، وإطعامهم من حلال ، وتعليمهم ما يلزمهم من أوامر الشرع وخبرات الحياة ، ومصاحبتهم حتى يشكون ما يؤرقهم لأبائهم وأمهاتهم قبل أصدقائهم لما يجدون عندهم من أذان صاغية وتقديم الدعم النفسي اللائق ﷻ

الإحسان للزوجة: مما يرفع درجة العبد على غيره ، قال ﷻ : «حَيْرَكُمُ حَيْرَكُمُ لِأَهْلِهِ» وكان النبي ﷺ خير الناس لأهله وفي إحسانه ﷻ لزوجاته يقول الإمام المناوي:” وكان أحسن الناس عشرة لهم حتى أنه كان يرسل بنات الأنصار لعائشة يلعبن معها وكانت إذا وُهبَت شيئا لا محذور فيه تابعها عليه وإذا شربت شرب من موضع فمها وأراها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه وسابقها في السفر مرتين فسبقها وسبقته ثم قال هذه بتلك وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة “.

ومن عادة الكرام ألا يتوقف إحسانهم بوفاة من يحسنون إليه وقد قدم النبي ﷺ الأسوة الحسنة لنا في إحسانه لخديجة بعد وفاتها، وقد تمثل ذلك في الإهداء لصديقاتها وفي بيان فضائلها، قالت عائشة رضي الله عنها «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَيِّرُ ذِكْرَهَا، وَرَبَّمَا دَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُهَا فِي صَدَائِقِ حَدِيحَةٍ»

وبقي النبي ﷺ راعيا لعهددها وفيها لذكرها ذاكرا لما كان بينه وبينها من مواقف طيبة ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى يَذْكُرَ حَدِيحَةَ ، فَيُحْسِنُ عَلَيْهَا الشَّنَاءَ ، فَيُذَكِّرُهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ، فَأَذْكُرُنِي الْغَيْرَةَ فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزًا ، فَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ حَيْرًا مِنْهَا ، مَغْضَبٌ حَتَّى أَهْتَرُ مُقَدِّمَ شَعْرِهِ مِنَ الْعَصَبِ ، ثُمَّ قَالَ : «لَا وَاللَّهِ مَا أَحْلَفَ اللَّهُ لِي حَيْرًا مِنْهَا ، وَقَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَّرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي وَكَذَّبْتَنِي النَّاسُ ، وَوَأَسْتَيْبِي مِنْ قَالِبِهَا إِذْ حَرَمْتَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقْتَنِي اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ الْأَوْلَادُ مِنْهَا ، إِذْ حَرَمْتَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَقُلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: لَا أَذْكُرُهَا بِسَيِّئَةٍ أَبَدًا “.

وندرك من هذه الرواية ما كان عليه النبي ﷺ من المداومة على الثناء على خديجة ، ومن تمام الإحسان غضبه ﷻ عندما شعر بانقراض عائشة رضي الله عنها لخديجة غضبا شديدا دفع عائشة رضي الله عنها إلى الكف عن ذكرها بما يغضبه ﷻ ، ومن إحسانه ﷻ لخديجة ذكر مواقفها الطيبة ﷻ

دائرة الإحسان الخامسة: الإحسان للكائنات الأخرى

تتسع دوائر الإحسان في حياة المؤمن لتشمل الحيوانات وقد بين النبي ﷺ أجر الإحسان للحيوانات حين قال: « يَا بَنِي آدَمَ كُلُّكُمْ يُطِيفُ بِرِجْلَيْهِ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطْسُ إِذْ رَأَتْهُ بَعْجِي مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَرَعَتْ مَوْقَهَا فَاسْتَقْتَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَّتُهُ إِيَّاهُ ، فَغَفَرَ لَهَا بِهِ . » وبقي الإحسان إلى الحيوانات في الأمة الإسلامية قبل أن يعرفه دعاة حقوق الحيوان ، كان عدي بن حاتم « يفت الخبز للنمل ويقول انهن جارات لنا ولهن حق»

خاتمة: إحسان جوار نعم الله

إن آخر وأشمل دائرة للإحسان هي إحسان جوار نعم الله، وذلك برؤية النعمة وتقدير المنعم سبحانه وعدم النظر إليها على أنها قليلة أو حقيرة فإذا غابت هذه الحقائق امتهنت النعمة ولم يشعر بها من هي عنده وبذلك يعرضها للزوال ويعرض نفسه لسخط الله تعالى .